اجتهادات
جسر لم يُشيد

كانت صدمة الاتصال المباشر بالغرب فى نهاية القرن الثامن عشر، واكتشاف الفجوة العميقة التى فصلت العرب والمسلمين عن التقدم الذى حققه الأوروبيون, هما نقطة البداية فى البحث عن صيغة تساعد فى عبور تلك الفجوة. لكن مضى ما يقرب من قرن قبل أن يتبلور اتجاهان واضحان فى هذا المجال، سعى أحدهما إلى تجديد التراث العربى الإسلامى، واتجه الثانى إلى التفاعل مع الأفكار الغربية الحديثة فى حدود ما تيسر لأقطابه فى ذلك الوقت. والملاحظ أن الكثير من هؤلاء وأولئك كانوا من تلاميذ الإمام محمد عبده وأصدقائه، مثل مصطفى عبد الرازق، وأحمد أمين، وأمين الخولى, الذين قاموا بدور رائد فى السعى إلى تجديد التراث العربى الإسلامى، وأحمد لطفى السيد وأحمد فتحى زغلول وحسن عاصم الذين أدوا دورا مماثلاً ولكن فى اتجاه التفاعل مع الأفكار الغربية الحديثة ومحاولة تقديمها فى صورة تلائم مجتمعات شرقية. كما ربطت صلة صداقة وزمالة قوية بين مصطفى عبد الرازق وأحمد لطفى السيد. وكانت تلك فرصة تاريخية لتشييد جسر بين الاتجاهين، وتطوير رؤية جديدة تجمع التراث والأفكار الحديثة، وتضع حداً للازدواج الذى أدى استمراره بعد ذلك إلى تباعد تحول افتراقا فخصاما فصداما، حتى وصل إلى الاستقطاب. غير أن فرصة تشييد ذلك الجسر ضُيعت بسبب عدم إدراك رواد الاتجاهين مدى أهمية بنائه. فلم يكن رواد تجديد التراث العربى الإسلامى معنيين بالتفاعل مع الأفكار الغربية الحديثة، بل نأوا بأنفسهم عنها، أو تعاملوا معها بطريقة محافظة. فقد اعتقدوا أن تجديد التراث

يكفى للحاق بركب التقدم فى العالم، دون تفاعل خلاَّق مع الأفكار الغربية.

وبرغم أن بعض أقطاب الاتجاه الذى تفاعل مع هذه الأفكار اهتموا بالتراث، فقد انصب تركيزهم فى التاريخ الإسلامى، إذ انشغلوا بإعادة كتابة بعض مراحله انطلاقاً من منهج علمى اجتماعى حديث مثل د. حسين هيكل، ود. طه حسين، ومحمود عباس العقاد. ولذا، مضى الفريقان فى مسارين متوازيين تقاطعا جزئياً بشأن بعض القضايا، ولكنهما لم يتلقيا فى غياب جسر يعبر كل منهما عليه ويتكون فى وسطه اتجاه يجمعهما ويتضمن أفضل ما كان لديهما.